المسلمون السوفيات

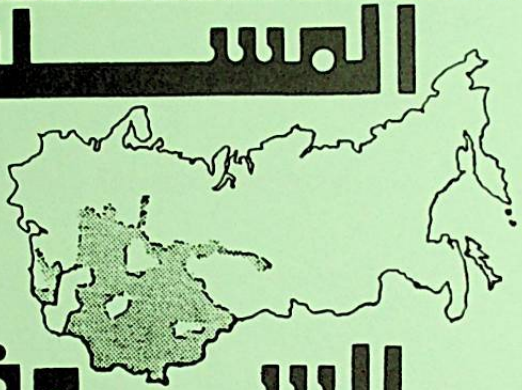

المسلمون السوفيات المجلد ٦/ عدد ١، مايو ـ يونيو ١٩٩٠
Soviet Muslims 1/90

المحتـــوى:

* الافتتاحية:
ـ ميخائيل غورباتشوف؛ صديق المسلمين الأكبر! ٣

* الدين والاصلاح السوفياتي:
ـ الالحاد والدين ٤

* أوروبا الشرقية:
ـ ألبانيا تلحق بركب باقي بلدان أوروبا الشرقية ٧

* الاتحاد السوفياتي والعالم الاسلامي: ٩

* مراجعة لبعض الكتب ١٠

* إصدارات جديدة ١١

مركز الدعوة بماركفيلد ليستر ـ المملكة المتحدة هاتف: ٢٤٤٩٤٤ (٠٥٣٠) فاكس: ٢٤٤٩٤٦ (٠٥٣٠) تلكس: ٣٤١٥٣٩ ISLAMFG

مختصر اوضاع المسلمين السوفيت

انه لمن الضروري ان تلم المعاهد الاسلامية والمؤسسات في العالم الاسلامي بأوضاع المسلمين في الاتحاد السوفيتي وسياسات الاتحاد السوفيتي الخارجية التي تعني بالمسلمين خارج الاتحاد السوفيتي. وبما ان منطقة آسيا الوسطى، ظلت حفيظة على الحضارة الاسلامية عدة قرون، فانها جديرة بأن تحظى باهتمام المسلم. ومجلة **مختصر اوضاع المسلمين السوفيت**، مجلة شهرية تصدرها المؤسسة الاسلامية، وهي محاولة فريدة لدراسة جادة لشؤون المسلمين السوفيت، لم تقدم عليها منظمة اسلامية من قبل.

وهذه المجلة تشكل اضافة هامة للرجل العادي وكذلك الاكاديمي وللعلماء والباحثين والطلاب الذين يعنون بأوضاع المسلمين في الاتحاد السوفيتي والوضع العام للدين في مناطق الحزام الشيوعي.

ومصادر اخبار هذه المجلة الاساسية هي، الدوريات، المجلات، الجرائد والكتب المطبوعة في الاتحاد السوفيتي. وعليه فهذه المجلة تعرض وجهة نظر الاتحاد السوفيتي الرسمية وتعامله مع الاسلام والمسلمين، مأخوذة من المصادر الاساسية.

ويرحب المحرر بالآراء والتعليقات والمقترحات المتعلقة بالمادة والاخراج في سبيل ترقية النوعية والاداء.

الاشتراك السنوي:
٤ جنيهات استرلينية للافراد «بالبريد الجوي»
٨ جنيهات استرلينية للمؤسسات والمكتبات «بالبريد الجوي»

المؤسسة الاسلامية
مركز الدعوة بماركفيلد
ليستر - المملكة المتحدة
هاتف: ٢٤٤٩٤٤ (٠٥٣٠)
فاكس: ٢٤٤٩٤٦ (٠٥٣٠)
تلكس: ٣٤١٥٣٩ ISLAMF G

The Islamic Foundation
Markfield Dawah Centre,
Ratby Lane, Markfield, Leicester,
LE6 0RN, UK
Tel: (0530) 244944
Telex: 341539 ISLAMF G
Fax: (0530) 244946

* الافتتاحية:

- ميخائيل غورباتشوف: صديق المسلمين الأكبر

عاد الرئيس السوفياتي الى بلده بعد إنهاءه لمحادثات موفقة مع الرئيس الأمريكي جورج بوش، بل يبدو أن نتائج هذا اللقاء كانت بالنسبة اليه موفقة أكثر مما كان يتوقع.

لقد أبرم الاتحاد السوفياتي عقداً تجارياً مع الولايات المتحدة الأمريكية سيمكنه من الحصول على بعض الامتيازات التجارية.

صحيح أن الكونغرس الأمريكي سيضطر الى تغيير بعض قوانينه التجارية، ولكن أعضاء هذا الكونغرس لن يوافقوا على هذه التغييرات إلا بعد تأكدهم من تغيير الاتحاد السوفياتي لموقفه من استقلال ليثوينيا وهجرة اليهود من الاتحاد السوفياتي.

ولعل مسلمي الاتحاد السوفياتي مبتهجون برئيس في مثل مقام غورباتشوف !!، لِمَ لا وقد يكون هو الرئيس الذي طالما انتظروه. لقد أوقد السيد غورباتشوف شمعة أمل في أذهان وقلوب كل مسلمي آسيا الوسطى ومنطقة القوقاز. لقد أذن بفتح المساجد والمدارس، وسمح للخطوط الجوية الروسية بنقل ملايين من نسخ القرآن من السعودية الى الاتحاد السوفياتي، كما سمح من جهة اخرى لبعض المسلمين السوفيات بتأدية شعائر الحج. ولأول وهلة، تبدو هذه الخطوات كشيء غير عادي بالنسبة للمسلمين في آسيا الوسطى.

ولكن المتشككين في صدق نية غورباتشوف يفضلون النظر الى الأمر بموضوعية، بعيداً عن الانفعال والحماس.

نعم.. لقد كان قرار إدخال الملايين من نسخ القرآن الى الاتحاد السوفياتي عملاً رحب به كل المسلمين، ولكن السؤال الذي يشغل بال هؤلاء المتشككين هو: الى أين ذهبت كل تلك النسخ؟ لأن هذه النسخ لم توزع بالتأكيد على المسلمين، ومما زاد في الطين بلّة هو أن بعض الجرائد قد نقلت خبر مصادرة نسخ للقرآن الكريم على الحدود السوفياتية.

ولنعد الى قضية الحج، لقد كان قرار غورباتشوف بالسماح لـ ١٥٠٠ مسلم للذهاب الى الحج قراراً طيباً مشكوراً، إذ لم يكن يُسمح في الماضي إلا لعدد قليل جداً من المسلمين بذلك. ولكن التقارير تذكر أن المسلمين في الاتحاد السوفياتي يطالبون بزيادة عدد الحجاج سنوياً، لأن آلافاً منهم يريدون تأدية هذه المناسك. لقد احتج المسلمون بقوة على قرار السماح لـ ١٥٠٠ مسلم بالذهاب الى مكة حتى أن بعضهم قد قام بمظاهرات في موسكو تنديداً بذلك. كل هذه التنديدات والاحتجاجات كانت مجرد صرخة في واد. إن الحكومة السوفياتية مصممة على عدم تغيير موقفها.

إذ يبدو وأن الحكومة السوفياتية حريصة على سلامة المسلمين السوفيات خلال اقامتهم في الأرض المقدسة!! وعلى حد قول إمام مسجد موسكو رافيل غانيتدين "إننا لا نريد أن يترك شعبنا يتسول في الشوارع كما يتسوّل المسلمون الأفارقة".

وهذا الاهتمام الزائد بسلامة المسلمين السوفيات في الخارج هو الذي يجعلنا نتشكك في صدق نية السلطات السوفياتية، لأن حالة هؤلاء المسلمين في الجمهوريات التي يعيشون بها تدل على أن الحكومة السوفياتية لا تهتم ولا تريد أن تهتم بسلامة المسلمين. فقد زودتنا بعض الاحصائيات الحديثة

بصورة مروعة عن الظروف المعيشية للمسلمين في تركمانيا. فمن مجموع سكان هذه الجمهورية الذي يقدر بـ ٣,٥ مليون نسمة، يعيش ثلث هذا العدد تحت ما يسمى بخط الفقر؛ إذ يتقاضى ثلث هذا العدد ٧٥ روبية أو أقل شهرياً، مع العلم أن خط الفقر المعترف به في الاتحاد السوفياتي هو ٩٥ روبية شهرياً، وتصل نسبة البطالة في هذه المنطقة الى ١٠٪، وشقة واحدة من بين خمس شقق مزودة بتسهيلات لتوفير الماء الحار.

وتشير الاحصائيات الى أن نسبة الوفاة بين الأطفال في هذه المنطقة تصل الى ٥٤,٢ بالألف، وهي أكبر نسبة في كل مناطق الاتحاد السوفياتي، وأكبر عشر مرات من أية نسبة وفاة في بلدان أوروبا الشرقية. ففي أغلب الأحيان يشرب الأطفال من مياه الضخ بالمعادن الضارة أو المواد القاتلة للجراثيم والحشرات، بل أن الذهاب الى الطبيب في حد ذاته يعتبر خطراً. يتلقى الأطفال التركمانيون من ٢٠٠ الى ٤٠٠ حقنة في السنة الأولى بعد ميلادهم مقابل ٣ الى ٤ حقن بالنسبة للأطفال الأمريكيين.

وعلى كل، تعتبر الظروف المعيشية هذه هي نفسها في كل من أذربيجان، كيرغيزيا، أوزبكستان.. الخ. إن السيد غورباتشوف مشغول جداً عن إبداء أي اهتمام بهؤلاء التعساء من البشر.

إنه بإمكان زعماء المجلس السوفياتي الافتخار والتبجح بالبيروسترويكا والغلاسنوست، ولكن الواقع يقول أنه لم يحن الوقت بعد للابتهاج بالتغييرات القليلة التي حامت حول سماء حياة المسلمين السوفيات. ويحدثنا التاريخ والتجربة أن الزعماء السوفيات ـ دون استثناء ـ عظماء كلهم وهم أحياء، ملعونون وهم أموات، وقد لا يكون غورباتشوف قاعدة شاذة، فليحذر المسلمون جداً عند تقييمهم لهذا الرئيس الجديد.

* الدين والاصلاح السوفياتي:

ـ الالحاد والدين

إن إعادة التقييم الحالية للتاريخ السوفياتي تدور وتتمحور على مسألة شرعية وفعالية الحملة الالحادية في المجتمع السوفياتي. إن الشغل الشاغل للعلماء السوفيات الآن هو محاولة إيجاد تعريف جديد لما يسمى بـ "الالحاد العلمي"، هذا الالحاد العلمي الذي درَّسوه لأعوام طوال كمادة من مواد الأيديولوجية الماركسية.

إن مشكلة الساعة تكمن في الخلاف حول إبقاء هذا الموضوع ضمن مقررات الدراسة، واستثناء موضوع نفي الله من تعاليم الالحاد، وأخيراً مسألة تجنب الاصطدام مع الدين.

لم يتمكن هؤلاء العلماء من الوصول الى صيغة اتفاق نهائية بعد. ومهما يكن الأمر فقد ولّت أسطورة إعاقة الدين لنمو المجتمع الى الأبد، حتى في أذهان السوفيات أنفسهم.

كما يعترف العلماء السوفيات الآن أن الحملة الاعلامية الالحادية التي شنوها طوال الأعوام الماضية، إضافة الى اضطهاد الدين قد جلبا نتائج سلبية للغاية.

وفي هذا المضمار يؤكد السيد أريبوف من جامعة طشقند أنه بسبب التدخلات الحكومية التعسفية في الشئون الدينية فُتحت عدة مساجد غير قانونية، كما وصلت بعض الأنشطة الاسلامية الى مستوى عالٍ جداً.

(كومنست أوزبكستانا عدد ١، ١٩٩٠)

وقالت السيدة ميروفا، من الحزب الشيوعي الأوزبكستاني، آخذة بعين الاعتبار نتائج مثل هذه الدراسات أن "عزل الكنيسة عن الدولة لايعني قطع كل العلاقات مع المؤمنين وإهمال دورهم في المجتمع" (بارتيينايا رهيزن عدد ١٥، ١٩٨٩). إن كلا من المؤمنين والملحدين ـ في نظرها ـ أعضاء سواسية في المجتمع، والكل يعمل من أجل خدمة البلاد.

ولهذا السبب أعطي كل من الجانبين الفرصة لابداء آرائهم في التلفاز والاذاعة وبعض المنصات الاخرى.

وأكدت هذه السيدة أن إنتاج المسلمين في منطقتها أحسن من انتاج الملحدين، وفي هذا تحيي المسلمين الذين لا يبالغون في استعمال المشروبات الكحولية؛ هذه المشروبات التي تعتبر أكبر مشكلة في أوساط الطبقة السوفياتية العاملة.

"إنه لمن المقلق جداً، تقول هذه السيدة، أن نعلم أنه بالرغم من المديح المستمر للأخلاقيات الشيوعية فإنها فشلت في حل مشكلة المشروبات الكحولية، والآن نجد أن الاسلام بتعاليمه يحل هذه المشكلة بكل سهولة".

وإنه لمن المؤلم أن نرى أن سلوك الحكومة المتشكك تجاه المؤمنين لم يتغير حتى في عهد البريسترويكا والغلاسنوست. إن مواجهة المؤمنين اليومية مع البيروقراطية تعتبر وللأسف هي نفس المواجهة التي كانت مع الطريقة الستالينية القديمة.

يطالب المسلمون بفتح المدارس والمساجد وتوفير الكتب الاسلامية، وكل أملهم في ذلك هو حسن نية صانعي القرارات في الاتحاد السوفياتي. ومع هذا يبدو وكأن السلطات السوفياتية لازالت تتشكك في مدى شرعية مثل هذه المطالب. وفي هذا الصدد حذّرت السيدة ميروفا من استغلال المسلمين لهذا الانفتاح للمطالبة بأمور متطرفة.

إن مثل هؤلاء المسلمين ممنوعون من ارتياد المساجد المحلية لأنهم يحاولون جمع توقيعات لمساندة مطالبهم. فبالرغم من أن السلطات السوفياتية قد وعدت المسلمين بتزويدهم بالقرآن العظيم منذ أمد بعيد، وبالرغم من أن السعودية قد أرسلت مليون نسخة من القرآن الكريم الى الاتحاد السوفياتي، إلا أنه لا أحد يعلم مكان وجود هذه النسخ. فقد قيل أنها أُحرقت عن بكرة أبيها، وقيل أنها لازالت مخزونة في طشقند (الاندبندنت ٣ يونيو ١٩٩٠). وفي مثل هذه الظروف لابد وأن يتبادر الى الذهن أن إعاقة الحريات الدينية مازال معمول به في الاتحاد السوفياتي.

ـ ضرورة إدراج الدين في ميدان الاصلاح التعليمي:

أبدت الاصلاحات التي تجري حالياً في الاتحاد السوفياتي انفتاحاً ملحوظاً لدراسة الدين بعمق ومنهجية.

فلم يعد المعلمون السوفيات يدرسون طلابهم أن الدين عدو العلم الى حد دفع بعضهم الى اقتراح إدراج كل من الدين والالحاد ـ جنباً الى جنب ـ في المناهج الدراسية حتى تتوسع آفاق الطلبة الذهنية.

ومع هذا لايزال الالحاد يحتكر مكان الصدارة، إذ أن تدريسه إجباري على كل الطلبة بغض النظر عن اختصاصهم العلمي.

وقد أبدت البحوث الميدانية ـ مؤخراً ـ أن الطلبة لا يبدون أي اعتراض على تدريس الدين، بل أن

الكثيرمنهم يتشكك في الطبيعة العلمية للالحاد.

وفي هذا المجال قال السيد نوغيبابييف من جامعة كيرغيز ما يلي:

"إن شكل الالحاد لم يتغير مثلما كان يتغير في العشرينات والثلاثينات من هذا القرن". (كومنست كيرغستانا عدد ٥، ١٩٩٠)

يعتمد المعلمون على نفس المواد القديمة في تدريس الالحاد، وفي أغلب الأحيان يفشل المعلمون في شرح الجانب الأخلاقي من الالحاد، كما أنهم لا يوفقون في تقديم أي تحليل موضوعي للأخلاق المبنية على الدين.

لقد امتلأت الأسواق والمكتبات بكتب التعليم الشيوعية، لأن المجال مفتوح لها، بغض النظر عن مدى قراءة الناس لمثل هذه الأدبيات أو شرائها. وفي نفس الوقت بيّن هذا الباحث أن الأدبيات حول الأخلاق المبنية على الدين تعرف إقبالاً شديداً من الناس بالرغم من قلتها في الأسواق، والسبب يرجع الى تعطش الناس للجوانب الأخلاقية والمثالية من الحياة.

وفي حالة مسلمي كيرغيزيا أوضحت الدراسة أن بحث المسلمين عن تعلم الاسلام جعل الالحاد يدخل في تنافس مباشر مع هذا الدين.

لقد ذكر نوغويبابييف ـ مثلاً ـ أنه يوجد في قرية صغيرة تسمى إسكي ـ نوكات منظمات حزبية عديدة، ومدارس ثانوية تضم أكثر من ١٥٠ معلماً يدرسون الالحاد بالاضافة الى جمعية (زنانيي) المسئولة عن التعليم الالحادي في القرية، كل هذا مقابل مسجد واحد يؤمه الامام سيد زهناكري، خريج مدرسة بخارى.

لقد تمكن هذا الامام في السنتين الأخيرتين، نتيجة لحماسته وجهده المتواصل، من تكثير الدعاة العاملين للاسلام في هذه القرية. ونتيجة لرفع القيود التي كانت مسلطة على الدعاة من قبل، بسبب البيروسترويكا، تمكن هذا الامام من القاء عدة دروس ومحاضرات على طلبة تلك الثانويات. وكانت هذه المحاضرات موفقة جداً، إذ ولدت اهتماماً بالغاً في الطلبة بموضوع الدين؛ الشيء الذي أكده المعلمون أنفسهم. يُعتبر هذا الاهتمام المفاجيء بالدين صفعة قوية في وجه الالحاد بالذات لأن الطلبة لا يولون أي اهتمام للتعليم الالحادي.

ومن جهة أخرى، أوضحت دراسة اخرى أُجريت في منطقة ششنو ـ إينغوسيا، ذات الأغلبية المسلمة أن التعليم الالحادي لم يصل بعد الى المستوى المتوقع (سوفيتسكايا بيداغوجيكا عدد ٣، ١٩٨٩).

إن بعض معلمي هذه المناطق يدرسون الموضوع بجد، ومعظمهم يتطرق للموضوع بحذر شديد، خوفاً من إحداث أية مواجهة بينهم وبين آباء الطلبة، خاصة بعد أن لوحظ تأثير الاسلام في هذه المناطق. إن هؤلاء المعلمين لا يودّون فقد سلطتهم كلية في هذه المنطقة.

وعلى كل، لايعتبر تصرف هؤلاء المعلمين تصرفاً اختيارياً بل هو تصرف غريزي نابع من ضمائرهم الأخلاقية، لأنهم ينحدرون من نفس الأصول الاسلامية، زيادة على ذلك، يُخفي معظم هؤلاء المعلمين إيمانهم كباقي المسلمين السوفيات خوفاً من الحكومة نفسها.

إن هذا النوع من الدراسات ناقص دون شك، لكنه إن دلّ على شيء فإنما يدل على أن التعليم الديني مطلوب جداً في هذه المناطق.

* أوروبا الشرقية:

ـ ألبانيا تلحق بركب باقي بلدان أوروبا الشرقية

بعد عقود من العزلة التى فرضتها ألبانيا على نفسها، هاهي الآن تحاول أن تقوم ببعض الاصلاحات السياسية والاقتصادية التي من المتوقع أن تترك بصماتها على سياساتها الداخلية والخارجية.

فقد أوضح السيد راميز عاليا زعيم حزب العمال الحاكم لدى مخاطبته للّجنة المركزية لحزب العمال أنه لابد من زعزعة الوضع الحالي للحزب الحاكم، وأشار الى أنه من الممكن أن تعقد علاقات ديبلوماسية مع الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة.

وبعد هذه التصريحات بفترة قصيرة جاءت تقارير توضح أن السلطات الألبانية قررت رفع الحظر الذي كان مفروضاً على الدعاية الدينية، وتم إلغاء الحكم بالاعدام على الجناة نتيجة لجملة الاصلاحات التي ينوي القيام بها آخر نظام شيوعي متشدد. ومن جهة اخرى، أعلن نائب رئيس الوزراء السيد مانوش ميغتيو، بعد سلسلة من التغييرات القانونية التي حدثت في هذه الدولة التي كانت منغلقة على العالم الخارجي، أن الاصلاحات الجديدة ستشتمل على إمكانية حصول كل ألباني على جواز للسفر، حتى يتمكن من شاء الخروج من البلاد متى ما شاء. فكما قال نائب رئيس الوزراء مخاطباً أعضاء البرلمان في تيرانا "من واجب الحكومة المستمر تعزيز حماية حقوق الانسان".

وفس نفس الكلمة السابقة أعلن الوزير الأول السيد عادل كركاني عن استعداد ألبانيا للانضمام الى المؤتمر الأوروبي للتعاون والأمن CSCE إذ أن ألبانيا هي البلد الوحيد (من بين ٣٥ دولة) التي لا تنتمي الى هذا المؤتمر.

ولعل السبب الرئيسي في ذلك يعود الى تأكيد المؤتمر على احترام حقوق الانسان كشرط ضروري للانضمام، ومجالات عمل هذا المؤتمر هي التنسيق في ميدان الأمن العسكري، والتعاون الاقتصادي وأخيراً الحريات المدنية في القارة الأوروبية.

لقد تلقى الشعب خبر هذه الاصلاحات الجديدة بحفاوة كبيرة، ولكن رد فعل كل فئات الشعب كان متفاوتاً. فالبعض يعتقد أن هذه التغييرات الطفيفة ما هي إلا خدعة لنيل إعجاب أوروبا الغربية التي تعتمد عليها تجارة ألبانيا اعتماداً كلياً.

ولعل الأحداث التي وقعت مؤخراً في أوروبا الشرقية قد علمتنا أن الشعوب لا تثق ثقة كلية مباشرة بزعمائها الذين يغيرون من توجهاتهم القديمة.

إننا نحيي السيد راميز عاليا على محاولاته الاصلاحية، ولنا أن نتذكر أن أية إصلاحات قد تأخذ وقتاً طويلاً.

ثم علينا أن نتذكر أن السلطات الرسمية لم تذكر أي شيء عن الأقليات الوطنية المضطهدة أو عن آلاف المسجونين الذين اتهموا بأنشطة معادية للحكومة، حتى إذا قُصد بمعاداة الحكومة التنديد بسوء إدارة الموارد الطبيعية للبلاد التي حطمت الصناعة، وأرغمت نسبة كبيرة من مجموع سكان البلاد (ثلاثة ملايين في المجموع) على العيش في ظروف لا تعرفها الا البلدان المصابة بالمجاعة.

تستعمل ألبانيا، مثلها مثل رومانيا، جهازاً ضخماً لمراقبة الأمور التي تحدث في البلاد. لقد وظفت حكومة (أنفرز هوكسها) و (راميز عاليا) البوليس السري كأداة لاضطهاد الشعب وحماية مصالحها

الشخصية.

وكانت أهم المجالات التي اخترقت فيها حقوق الانسان في ألبانيا كالتالي:

أولاً: تقييد حرية الحركة؛ حيث أن محاولة الهرب من البلاد تعتبر خيانة عظمى.

ثانياً: إنتشار استعمال التعذيب الجسدي والنفسي في حقول العمل.

ثالثاً: منع الناس من القيام بالشعائر الدينية، إذ أن ألبانيا تعلن أنها دولة إلحادية صراحة.

ويُعتقد أن قوات الأمن تقاوم بشدة نية السيد عاليا في فتح البلاد على المجتمع الدولي، لأن ألبانيا هي آخر معقل للحكم الشيوعي في أوروبا.

فقد قررت القوات العسكرية ـ على سبيل المثال ـ في صبيحة يوم من أيام مايو الماضي سد أحد الشوارع الرئيسية في وسط العاصمة، ويحوي هذا الشارع كل سفارات فرنسا، اليونان، الصين، ألمانيا الغربية، بلغاريا و تشيكوسلوفاكيا.

ولحد الآن لا يمكن التكهن بمدى صدق الحكومة في تطبيق وتنفيذ الاصلاحات المُعلن عنها. وعل كل، هناك بارقة أمل بالنسبة للألبانيين، إذ بدأت تعلو بعض علامات الانفراج على سماء الشعب الألباني، فبعد أربعين عاماً من الصمت بدأ الألبانيون يتكلمون عن اعتقال بعض من الذين قاموا بمظاهرات واحتجاجات ضد الحكم الشيوعي.

ونقلت وكالات الأخبار من جهة اخرى نبأ عدة مظاهرات في كل من (كجافي) و (شكودن)، وقد تم توجيه قنابل صغيرة على تمثال ستالين ومحل لبيع الكتب تابع للزعيم السابق أنفرز هوكسا.

كما أن هناك ضغطاً كبيراً من بعض التكنوقراطيين في داخل الحزب نفسه لمزيد من الاصلاحات، علماً أن هؤلاء التكنوقراطيين أنفسه ينحدرون من عائلات تشرف على إدارة البلاد ولديهم في نفس الوقت قدر كافي من التعليم.

لقد تحدثت بعض التقارير الأخيرة عن قيام البعثة الألبانية الى جلسة حقوق الانسان التي نظمها المؤتمر الأوروبي للتعاون والأمن CSCE بمراوغة ديبلوماسية. فلقد طلبت هذه البعثة حق المشاركة في كوبنهاغن كملاحظ فقط في هذه الجلسة، فوافق المؤتمر على ذلك وفقاً لقرار المؤتمر الموافق عليه في هلسنكي عام ١٩٧٥. بعد ذلك بوقت قصير صرح سفير المانيا في استوكهولم في مؤتمر صحفي أن بلاده ترغب في الانضمام الى المؤتمر كعضو كامل الحقوق في أقرب وقت ممكن.

ولكن هناك بعض التردد من جانب المؤتمر في قبول هذا الطلب، إذ أنه غير متأكد من احترام ألبانيا لقرارات هلسنكي (لعام ١٩٧٥) المتعلقة بحقوق الانسان، دعك عن حقوق الانتخاب الحر واحترام القوانين التي تعتبر من الأساسيات التي يجب أن يلتزم بها أي عضو من أعضاء هذا المؤتمر.

وعموماً لايبدو وكأن الحكومة الألبانية صادقة في القيام بإصلاحات جذرية، ولا يظهر أنها مستعدة لاحترام حقوق الانسان، فقد صرح وزير الخارجية الألباني السيد (بيجوسازان) أن "نظام الانتخابات الحرة والتعددية الحزبية غير ضروريان في ألبانيا، لأن كل الشعب يساند ويؤيد الحكومة، ولا توجد معارضة في البلاد، وكفى الله المؤمنين القتال !!".

وهذه التصريحات تذكرنا بما كان يقوله زعماء بعض بلدان أوروبا الشرقية قبيل فترات قصيرة من تنحيتهم أو القضاء عليهم، والظلم وإن طال لايدوم!

* الاتحاد السوفياتي والعالم الاسلامي:

لقد سمحت سياسة غورباتشوف الاصلاحية لآلاف من اليهود بمغادرة الاتحاد السوفياتي حيث وصل عددهم حتى شهر نيسان من هذه السنة الى ١٠٠٠٠ يهودي، بسبب قرار الولايات المتحدة بتقليل عدد المهاجرين اليهود الى الولايات المتحدة. ومن المتوقع أن يصل عدد المهاجرين اليهود من الاتحاد السوفياتي الى ١٣٠٠٠٠ هذه السنة، ولا شك أن هذا العدد هائل جداً.

ولا يخفى على أحد أن هجرة اليهود من الاتحاد السوفياتي هي أثر مباشر لنشاطات الزعماء الصهاينة. ومع هذا لن يتمكن هؤلاء الزعماء من إسكان كل هذه المجاميع الهائلة في ما يسمى بدولة إسرائيل، فالحل الوحيد الذي بقي لديهم إذن هو إسكانهم في ما يسمى بالأراضي الفلسطينية المحتلة (الضفة وقطاع غزة) وهو الأمر الذي يثير تخوفات وقلق الزعماء الفلسطينيين والعرب.

لقد ذكر إسحاق شامير أنه سيتم توطين حوالي ١٪ فقط من مجموع المهاجرين اليهود في الضفة الغربية وقطاع غزة، ولكنه لم يدرج فيما يسمى بالأراضي المحتلة، منطقة القدس الشرقية التي احتلت عام ١٩٦٧. إن نسبة اليهود في الضفة الغربية وقطاع غزة تصل الى ١٠٪ وهذا بسبب الازدياد المستمر لعدد المستوطنات، والأمر الذي لا شك فيه هو أن هجرة اليهود السوفيات الى فلسطين سيزيد من تعقيد الأزمة، ومن المنتظر أن تسبب هذه الهجرة الجماعية استبعاد إمكانية الحل السلمي للقضية الفلسطينية، نتيجة لازدياد هوّة الخلاف بين عدد من الدول العربية من جهة وإسرائيل من جهة اخرى.

إن الرئيس غورباتشوف قلق جداً (!!) من تخوفات بعض الزعماء الفلسطينيين والعرب، هذا بالرغم من أن مسألة هجرة اليهود من الاتحاد السوفياتي تعتبر مسألة داخلية (!!)

فلقد هدد الرئيس غورباتشوف في مؤتمر صحفي بعد عدّه لبعض الاعتراضات العربية على هجرة اليهود السوفيات بوقف هجرة اليهود إذا ما استمرت إسرائيل في إسكانهم في الضفة الغربية وقطاع غزة.

وبعد هذا التهديد بمدة قصيرة كرر (بوش) اعتراضه على إسكان اليهود في الأراضي المحتلة. ولكن من المؤكد أن تهديد السيد غورباتشوف لم ينل بركات الرئيس الأمريكي وموافقته. زيادة على ذلك، لو حاول غورباتشوف فعلاً العمل بمقتضى تهديده فسوف يخاطر حتماً بمصير العلاقات التجارية بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي.

لقد تم إمضاء عقد تجاري بين البلدين أثناء مؤتمر القمة الماضي، بعد أن وافق البرلمان السوفياتي على قرار يقضي بالسماح لليهود بالهجرة خارج الاتحاد السوفياتي.

لقد هلّل بعض الزعماء العرب والفلسطينيين بمقترحات وملاحظات غورباتشوف. وتجدر الاشارة الى أن تهديدات وملاحظات الرئيس السوفياتي تأتي في وقت ازداد فيه تهجم العرب على الولايات المتحدة، فقد رحب بيان مؤتمر القمة العربي (تونس) بالخطوة السوفياتية القاضية بتحديد هجرة اليهود حتى تعطي حكومات اسرائيل ضمانات بعد استيطانهم في الأراضي المحتلة.

وأعلنت السلطات الرسمية في كل من مصر والأردن عن ترحيبها بتعليقات الرئيس السوفياتي، لأن هذه التعليقات تعكس نداءات العرب لكل من الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة لوضع حد لهجرة اليهود الى اسرائيل.

ومن جهة ثانية، ندد الزعماء العرب في مؤتمر القمة الأخير بهجرة اليهود ومساندة الولايات المتحدة

له. وأعلنوا أن علاقتهم بأية دولة ستكون على أساس السياسات المعتمدة لهذه الدولة تجاه القضية الفلسطينية وموضوع هجرة اليهود.

وإلى هذا الحد كل شيء يبدو على ما يرام، إلى أن أعلن الزعيم السوفياتي بعد فترة وجيزة من تهديداته وتصريحاته الأخيرة عن نيته في عدم إعاقة هجرة اليهود الى إسرائيل بالرغم مما صرح به سابقاً. وأكد هذا الأمر السيد شفرنادزه عندما قدم بعض الضمانات لوزير الخارجية الأمريكي جيمس بيكر، عندما اجتمعا في كوبنهاغن.

وهذا التناقض في المواقف والتصريحات أمر مألوف بالنسبة للحكومة السوفياتية، بل أن بعض الملاحظين يزعمون أن الاتحاد السوفياتي لم يكن في يوم من الأيام صديقاً للعرب.

لقد كان الموجه الرئيسي للاتحاد السوفياتي هو مصالحه الخاصة فقط، وطالما استغلوا القضية الفلسطينية للاستفادة من بعض التنازلات من الولايات المتحدة، وإن ننس فلا ننسى أن الاتحاد السوفياتي هو أول من اعترف رسمياً بدولة إسرائيل، ومرة اخرى في حرب ١٩٧٣ ظهرت سوء نية السوفيات بشكل واضح، إلى أن انسحب الاتحاد السوفياتي كحليف استراتيجي للعالم العربي بعد ذلك كلية.

* مراجعة لبعض الكتب:

- الطب والدين (مديستينا إي ريليجيا)، تأليف: ل.ب. فيالكوف. كييف، زدوروفيا، ١٩٨٧، ١٤٤ صفحة.

لقد سمحت التطورات الهائلة في ميدان العلم والتكنولوجيا بفتح إمكانيات جديدة هائلة للهيمنة وتذليل قوانين الطبيعة وتحسين ظروف حياة بني الانسان.

وفي نفس الوقت دلف علينا تاريخ القرن العشرين الزاهر (!) بعواقب وخيمة نتجت عن الامبريالية مثل الحروب الدامية المتكررة، والانقلابات العسكرية والفاشية، والمذابح الجماعية.. الخ.

ففي العالم الرأسمالي تسير الانجازات العلمية العظيمة جنباً الى جنب مع الظلامية والجهل.

إن الثلث الأخير من القرن العشرين حافل بالاكتشافات العلمية الباهرة والانجازات الطبية مثل الجراحة المجهرية الدقيقة، وزراعة الأعضاء، وأطفال الأنابيب، وبعض الأدوية الفعالة ... الخ. لكن هذه الانجازات العظيمة حدثت في نفس الفترة الزمنية التي انتشرت فيها بعض الأنواع الاخرى من أنواع التداوي والعلاج حيث يُعزى النجاح فيها الى علوم النجوم والأرواح ..الخ، وحيث يتم استخراج الشياطين والأرواح الشريرة بواسطة الكهانة، الى جنب اللجوء الى العرّافين والعرّافات للتنبؤ بالمستقبل بكل الطرق التي يمكن أو لايمكن تصورها، كل هذا كان نتاج الثلث الأخير من القرن العشرين.

إن أبرز سمات هذا القرن هي نضوج الفكر العلماني ومحاولة تطبيقه بشكل موسع الى جانب انتفاض شامل للأنشطة الدينية والزهد واللجوء الى الخرافات. أو إن شئنا قلنا أن هذا القرن يجمع بين إيمان الناس فيه بقوة العلم والقوى الغيبية في آن واحد. الايمان بالطب والايمان بالشفاء عن طريق المعجزات التي يقوم بها الكهنة.

وإذا أردنا أن نفهم قوانين التطور العلمي والديني، علينا أن نعرف أولاً كيف بدأ الانسان والمجتمع

للوجود.

كيف ومتى ظهر الطب، كيف ولماذا ظهرت فكرة الدين... ومن المهم أن نعرف لماذا تداخلت الأفكار العقلانية والأفكار الدينية، كيف استطاع الطب أن يدخل المراسيم والحيل السحرية. ومن المهم قبل ذلك معرفة تاريخ النزاع بين العلم والدين، تاريخ نزاع الفكر وانتصاره. هذه هي التساؤلات التي طرحها الكاتب، وبالطبع حاول الاجابة عليها من وجهة نظر التحليل الماركسية - اللينينية، وأعطى تفسيراً شيوعياً للعلاقة المتداخلة بين الطب والدين عبر كافة المراحل التي عرفها المجتمع البشري.

وقام الكاتب بتقديم تحليل لمعظم الظواهر الغيبية (تحضير الأرواح، الكهانة ..) وانتقدها من وجهة نظر العلم الحديث والفلسفة المادية.

وعلى كل، يخاطب هذا الكتاب قطاعاً واسعاً من القراء: الأطباء والمختصون في المشكلات المتعلقة بتاريخ الطب والعلاقة بين الالحاد والدين.

* إصدارات جديدة:

- «بروغراما سبتسكو إسلامفيد نيي» (برنامج الدورة الخاصة بالشئون الاسلامية). نارودي أربي إي أفريكي، عدد ٤، موسكو ١٩٨٩ ص ١٠٧-١١٦

- غرادزها: «شتو إسلي بوغانت؟» (ماذا لو لم يوجد أي إله؟)، رودينا، عدد ٨، موسكو ١٩٨٩. ٢٠ صفحة.

- فكهيدوف. س.: «سوتسيالنو - إستيروشسكي بريشني سخرانيينا فليا نيبا إسلامان رابوشيخ كورينوي ناسنيونالتسي إي بروبليمي أتييتشكوي رابوتي ف ترود فوم كوليكتيفي: ناماتيريلاخ تادز س س ر» (الأسباب الاجتماعية - التاريخية لتأثير الاسلام المستمر على العمال ذوي الأصول العرقية الوطنية ومشكلة الأعمال الالحادية بين الطبقة العاملة، استناداً الى المواد التي بحوزة طازس س ر) هذه المقالة مقطوعة من بحث دكتوراه.
أكاد أبششستيف. نوك بري تاسك KPSS . سبتسيالزير سوفيات ٠٤،٠٤،١٥١د موسكو ١٩٨٩، ٢١ صفحة

- باشيروف، ل.أ. لبوتكين، ر.أ.) هوخاتوف، ت. د.، وآخرون: «سوستوياني ريليجوزنوستي إي أتييستسكوفوا فوسبيتانيا ف ريجيوناخ ترادسيونوفو راسبوسترا نينيا إسلاما: ماتر يالي سوتسيول ايسلاد» (الحالة الدينية والنشأة الالحادية في المناطق الاسلامية: مواد للبحوث الاجتماعية).
أكاد أبششستيف. نوك، بري تسك KPSS : نوخ، أتبزما، سوف، ستسيول، أسوتس. موسكو ١٩٨٩. ١٦٦ صفحة.

- موناخروف، ز: «سكولوكوف ف ميرى مسلمان؟» (ما هو عدد المسلمين في العالم؟). آزيا إي أفريكا سيفوغنيا. عدد ١٠ موسكو ١٩٨٩، ٤١ صفحة.

- أرتيموف. أ، إي: «أبشيشسنا، سميا، فيرويوسشيي» (المجتمع، العائلة، والمؤمن). أوفو زناني، كاز سس ر، ألما أتا، ١٩٨٩ ٤١ صفحة.

If undelivered please return to:
The Islamic Foundation,
Markfield Dawah Centre,
Ratby Lane, Markfield, Leicester, LE6 0RN, UK